كمصدر وحي والهام ، وكركيزة تراثية لاستئناف البعث الاسرائيلي في فلسطين ، على اعتبار ان كل جريمة تصير شرعية وقانونية من أجل تحقيق الهدف الصهيوني . وقد بلغ التطرف باستحضار ارهاب يهوشع بن نون مدى دفع بعض « العقلاء » الاسرائيليين الى الدعوة لتحريم تدريس يهوشع بن نون في المدارس لانه يشكل افسادا لروح الشباب يجعله عاجزا عن التعود على الحياة ، بسلام ، مع العرب في حالة تغير ظروف العلاقات بين العرب واليهود .

ان ما تدعيه اسرائيل من حساسية تجاه ما تعتبره ظلما لاحقا باليهـــود في أي مكان بالعالم ، سرعان ما يتحول الى عمل انساني مشروع حين تمارسه ضد العرب . وان ما كان يعتبر جريمة وحشية عندما كان يمارس ضد يهودي ، سرعان ما يتحول الى واجب قومي يهودي عندما ينفذ بالسلاح اليهودي « الطاهر » عندما يتم تطبيقه ضد العرب . وليس عربيا القائل ان الصهيونية « تعتبر العمل الواحد حقا وصوابا اذا قامت هي به وخطأ غير مشروع اذا قام به غيرها». القائل هو موشيه سميلانسكي الذي قال ان القومية اليهودية في فلسطين مبنية على أنانية عسكرية تؤمن بالعنف وبعيدة كل البعد عن الانسانية .

خلاصة القول ان الجرائم التي ترتكبها اسرائيل ضد السكان العرب المدنيين والتي تمثل مذبحة كفرقاسم تجسيدا صارخا لها ، ليست ناشئة عـــن تطبيق « رديء » للتراث الصهيوني « الجيد » ، ولكنها تطبيق جيد للتراث الصهيوني الرديء . وهذه النقطـــة بالذات هي التي تشكل صخرة صماء وعقدة مستعصية الحل امام الذين يدافعون عن مباديء الصهيونية «النظيفة» ويعترضون على التطبيق الاسرائيلي القذر لهذه المباديء، او الذين يعترضون على «الانتهاكات» الاسرائيلية «لقداسة» التعاليم الصهيونية . ان الاعتراض على الممارسة الاسرائيلية سيبقى محاولة لاجتراح المستحيل اذا بقي أسير الالتزام بفكرة الدفاع عن سلامة الايديولوجية الصهيونية ، وضربا من ضروب خداع النفس وخداع الاخرين . ان الذي ينطلق من مبدأ طهارة الفكرة الصهيونية مدعو الى الالتزام بالخط المنطقي للامـــور الذي يقود الى الاشتراك في المسؤولية عن جـــرائم اسرائيل .

ان تراث الصهيونية وينبوعها «الصافي» هو الذي حلل العنف والجريمة. كان جابوتنسكي واضحا مع نفسه حين قال لمستشار الطلبة اليهود في فينا : « تستطيع ان تلغي كل شيء : القبعات ، والاحزمة ، والالوان ، والافراط في الشراب ، والاغاني . اما السيف فلا يمكن الغاؤه . عليكم ان تحتفظوا بالسيف ، لان الاقتتال بالسيف ليس ابتكارا المانيا، بل هو ملك لاجدادنا الاوائل . ان السيف والتوراة انزلا علينا من السماء ».

ليس التحدي الذي اختارته الصهيونية دائرا على القيم الانسانية والتحدي الحضاري كما تدعي ، ولكنه التحدي حول اولوية الانتماء الى العنف المسلح والى السيف . وقد بلغت المنافسة حول هذه الصفة بمفكر صهيوني آخر هو جوزيف بيرديشفسكي حدا جعله يعترض على صحبة السيف والكتاب ، فقال : « ان كلا من السيف والكتاب يناقض الاخر بل ويقضي عليه كليا . ان الفترة التي يعيشها الشعب اليهودي هي فترة عصيبة. وفي مثل هذه الفترات يعيش الرجال والامم بالسيف وليس بالكتاب . ان السيف ليس شيئا مجردا او بعيدا عن الحياة . انه تجسيد مادي للحياة في أنقى معانيها ، اما الكتاب فليس كذلك » .

مثلما لا نجد نهاية ، في الفكر الصهيوني ، لمبررات الارهاب والعنف المسلح المستلهمة من الاحكام السياسية والذرائع الدينية ، وعقدة الكبت التاريخي ، كذلك لا نجد على